سلسلة أعمال القلوب (٩)

الجدال والمراء

ح مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد ، محمد صالح

الجدال والمراء ، محمد صالح المنجد – الخبر ١٤٣٠هـ

٦٤ ص ، ١٢×١٧ سم

ردمك : ٧-١٨-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

١- القرآن – جدل ٢- الأخلاق الإسلامية أ. العنوان

ديوي : ٢٢٩,٤١٦٨ ١٤٣٠/٤٠٥٢

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

سلسلة أعمال القلوب (٩)

الجدال والمراء

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن الجدال من الآفات الشديدة التي تقسي القلب، ولخطورته، كان مجالاً لكلام العلماء رحمهم الله، وهو خُلق يكرهه السلف، ويبتعدون عنه أشد الابتعاد، قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (لا ينبغي لحامل القرآن أن يخوض مع من يخوض، ولا يجهل مع من يجهل، ويترك الجدال والمراء)[1].

وقال إبراهيم النخعي: (كانوا يكرهون الجدال)[2].

فما معنى الجدال والمراء؟.

وما السبب الذي جعل العلماء يكرهونه؟.

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ٥٣).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣١٩).

وما الفرق بين الجدال المحمود والجدال المذموم؟

وما أمثلة كل نوع؟

وهل الجدل شيء مركب في طبع النفس البشرية؟ أم هو طارئ عليها؟.

تساؤلات كثيرة أحببنا الإجابة عليها من خلال هذا الكتاب.

ولا يفوتني أن أشكر كل من ساهم في إعداد هذه المادة وإخراجها بالصورة المرضية.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح، وأن يسدد خطانا لطريق الصواب والفلاح، إنه على كل شيء قدير.

تعريف الجدال والمراء

الجدال: الخصومة ومراجعة الكلام، وهو دفع المرء خصمه تصحيحاً لكلامه، وهو منازعة للخصم.

والمجادلة: هي المناظرة لا لإظهار الصواب بل لإلزام الخصم[(١)].

قال الزجاج: (الجدال: هو المبالغة في الخصومة والمناظرة)[(٢)].

وقال القرطبي: (الجدال: دفع القول، على طريقة الحجة بالقوة)[(٣)].

أما المراء: فقيل هو الجدال[(٤)]. قال الطبري: (ماريت

(١) المعجم الوسيط (١/ ٢٣١).
(٢) زاد المسير (٤/ ٩٩).
(٣) تفسير القرطبي (٧/ ٦٧).
(٤) فتح القدير (٣/ ٣٩٦).

فلاناً: إذا جادلته)[١]. وقيل: هو طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير[٢].

وقيل: إن المراء لإثبات قول باطل، والجدال لإثبات قول قد يكون باطلاً وقد لا يكون.

الفرق بين الجدال والمراء:

قيل هما بمعنى واحد غير أن المراء مذموم لأنه مخاصمة في الحق بعد ظهوره، وليس كذلك الجدال[٣].

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٣٤٠).

(٢) التعاريف (١/ ٢٦٦).

(٣) الفروق اللغوية (١/ ١٥٩).

معنى الجدال في القرآن

عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ **قال**: «**المِرَاءُ فِي القُرْآنِ كُفْرٌ**»[١].

وصف النبي ﷺ المراء في القرآن بأنه كفر، فما معنى المراء في القرآن؟

المراد بالمراء في القرآن: الشك فيه، وهذا كفر، فإذا شك أنه كلام الله، أو قال: إنه مخلوق، أو جعل يتتبع الأشياء لكي يصل إلى جحد شيء مما أنزله الله ونحو ذلك، فالمجادلة والمماراة هنا على **مذهب الشك والريبة**.

وليس من الجدال في القرآن الممنوع أن يناقش في التفسير بعلم، فيقول: هل المراد كذا؟ أو المراد كذا؟ وترجيح أحد الوجوه. **فهذا نقاش بعلم لمعرفة مراد الله**.

فالمقصود بوصف المراء في القرآن بأنه كفر، أي: الذي يكون على سبيل الشك والارتياب والتكذيب.

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٣)، وصححه الألباني.

فعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ**»(١).

- أي: إذا اختلفتم في فهم معانيه فقوموا عنه لئلا يؤدي بكم الاختلاف إلى الشر.
- ويحتمل أن النهي كان خاصاً بزمان النبي ﷺ.
- ويحتمل أن المعنى اقرؤوا والزموا الائتلاف على ما دل عليه وقاد إليه، فإذا وقع الاختلاف أو عرضت شبهة تقتضي المنازعة الداعية إلى الافتراق، فاتركوا ذلك وتمسكوا بالمحكم، واتركوا المتشابه الذي سبَّب الاختلاف.

وأهل الباطل يتبعون ما تشابه من القرآن ويجادلون فيه ابتغاء الفتنة.

قال عمر رضي الله عنه: (إنه سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن؛ فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله)(٢)؛ لأن السنن تبين مراد الله، والسنة مفسرة للقرآن.

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٠).

(٢) رواه الدارمي (١١٩).

الجدل طبع مركب في الإنسان

إن الجدل طبع مركب في الإنسان، فهو كثير الجدل كثير المراء، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف:٥٤] أي: أكثر شيء مراءً وخصومةً، لا ينيب لحق، ولا ينزجر لموعظة[١].

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طرقه وفاطمة بنت النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ ليلة فقال: «**أَلَا تُصَلِّيَانِ**». فقلت: يا رسول الله، أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف حين قلنا ذلك، ولم يرجع إلي شيئا -أي: لم يرد عليه-، ثم سمعته وهو مولٍّ يضرب فخذه وهو يقول: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾[٢]. يعني: تعجب من سرعة جوابه، وعدم موافقته له على الاعتذار بهذا، ولهذا ضرب فخذه .

ومن الناس من يُحسن فن الجدل أكثر من غيره، وإن كان

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٢٤١).

(٢) رواه البخاري (١١٢٧).

من ناحية الطبع مركوزاً في الجميع، لكن يتفاوت فيه البشر.
وقد قال تعالى عن الكفار لما بعث إليهم محمداً ﷺ: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [مريم:٩٧] أهل لدد وجدل بالباطل، لا يقبلون الحق.

وقال تعالى عن أهل الباطل: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨] أشداء في المخاصمة.

ومن الأدلة على أن بعض الناس أعطي جدلا أكثر من بعض، حديث كعب بن مالك رضي الله عنه حين تخلف عن تبوك، قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، ... قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه ﷺ توجه قافلا حضرني همي، وطفقت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطه غدا، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادما زاح عني الباطل، وعرفت أني لن أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه ... فجئته، فلما سلمت عليه تبسم تبسُّم المغضب، ثم قال: «**تَعَالَ**». فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي: «**مَا خَلَّفَكَ؟**». فقلت: إني والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من

سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلا ... الحديث[١].

وموضع الشاهد: (أعطيت جدلاً) يعني: أعطيت فصاحة وقوة كلام بحيث أخرج من عُهدة ما يُنسب إليّ، وأسلُّ نفسي كما تُسل الشعرة من العجين.

وعن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنه سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم فقال: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الخَصْمُ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بُعْضٍ؛ فَأَحْسَبُ أَنَّهُ صَدَقَ، فَأَقْضِيَ لَهُ بِذَلِكَ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ، فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ فَلْيَتْرُكْهَا**»[٢].

وهذا الطبع من الجدل يستمر في الإنسان إلى يوم القيامة، حتى بعدما تقوم الساعة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل:١١١] أي: تخاصم وتحتج بما أسلفت في الدنيا وتحاجّ عن نفسها.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «**هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضحَكُ؟**». قال: قلنا: الله

(١) رواه البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩).
(٢) رواه البخاري (٢٤٥٨) ومسلم (١٧١٣).

ورسوله أعلم. قال: «**مِنْ مُخَاطَبَةِ العَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِداً مِنِّي. قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيداً، وَبِالكِرَامِ الكَاتِبِينَ شُهُوداً. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي. قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ. قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكَلَامِ، قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْداً لَكُنَّ وَسُحْقاً، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ**»[1].

وقال تعالى واصفاً جدال الكفار يوم القيامة: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٢-٢٤].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ الله تَعَالَى: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ. فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ. فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ. فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة:١٤٣]. والوسط العدل»[2].

(١) رواه مسلم (٢٩٦٩).
(٢) رواه البخاري (٣٣٣٩).

أسباب حصول المراء والجدال

لو وقفنا نسأل أنفسنا: لماذا يحصل المراء والجدال بين الناس؟ لتوصلنا إلى عدة أسباب، منها:

١- النصيحة العلنية.

٢- اختيار الوقت غير المناسب.

٣- اختيار المكان غير المناسب، بحيث يتجهم الآخر ويُثار.

٤- قد يكون سبب الجدال والمراء إرادة الحظوة عند الآخرين.

٥- قد يكون السعي للتغلب على الآخر بأي طريقة: بالباطل، أو بالحق.

٦- أحياناً البيئة لها دور في تنشيط عمليات المجادلة والمماراة، وخصوصاً في أوساط الشباب فيجب أن يحذروا منها، وقد يوجد في بعض أوساط الدعاة والمتدينين وسط يُغذِّي هذه الأشياء، فيشجع كل منهم فريقاً، فهذه عمليات تنشيطية وأجواء بيئية تؤدي إلى المراء والجدل.

ويوجد في بعض الأوساط التربوية مدرسون يشجعون

الجدل، وكثيراً ما يجادلون الطلاب، فيتسلل هذا الطبع ويتسرب لنفوس الطلاب.

وقد تتسرب هذه الطبيعة الجدلية من الأب إلى الأبناء إن كان الأب ذا طبيعة جدلية.

فعلى المربي أن يكون متخلصاً من هذه السلبية.

٧- قد يكون السبب في الجدل عند البعض العُجب والغرور والكِبر.

٨- قد يكون من فراغ القلب من تقوى الله.

٩- الفراغ، فالعسكر الفارغ تسوده المشاغبات، ومن تأمل كثيرا من الأوساط التي يكثر فيها الجدال، يجد أنهم أناس فارغون ليس لديهم برامج تشغلهم، **فهذا من أكبر أسبابه.**

شروط المجادلة

لابد أن نعرف ماذا نلتزم إذا أردنا أن نجادل؟ وماذا نشترط قبل أن نجادل؟.

شروط الجدال المحمود كالآتي:

أولا: إخلاص النية لله، وهو الشرط الأول؛ لتكثر البركة وتعظم الفائدة وينقطع اللجج؛ لأن القصد هو الحق ومعرفة الحق، فيجب أن يقدم تقوى الله قبل الدخول في ذلك، والقصد الحسن هو أهم شيء.

ثانيا: يجب أن يكون الجدل بالتي هي أحسن.

ثالثا: يجب أن يكون الجدل بالعلم، قال تعالى: ﴿ **هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ** ﴾ [آل عمران:٦٦].

رابعا: البدء بذكر الله تعالى، فيبدأ كل من المتجادلين المتناظرين للحق بذكر الرب عز وجل وبالبسملة، وإن لم يذكره بلسانه فليذكره في قلبه ونفسه.

خامسا: التأدب في الجلوس، وتوقير صاحبه الذي يجادله، وإحسان الجلسة أمامه وبين يديه.

سادسا: اجتناب الهوى، فالإنسان قد يكتشف أنه مخطئ أثناء النقاش، وأن صاحبه على حق، فعليه أن يتراجع عن خطئه.

ومن تأمل كلام المنصفين والسلف يهون عليه التراجع عن الخطأ.

عن محمد بن كعب قال: سأل رجلٌ علياً ﷺ عن مسألة فقال فيها رأيه، فقال الرجل: ليس هكذا! ولكن كذا وكذا. فقال علي: أصبتَ وأخطأتُ ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦][١].

وعن طاووس: أن زيد بن ثابت وابن عباس ﷺ تماريا في صدر الحائض قبل أن يكون آخر عهدها الطواف بالبيت، -أي: هل الحائض تخرج بدون طواف وداع أم لا؟- فقال ابن عباس: تنفر. وقال زيد: لا تنفر. فدخل زيد على عائشة

(١) تفسير الطبري (٢٧/ ٢٥٩).

رضي الله عنها فسألها فقالت: تنفر. فخرج زيد وهو يتبسم ويقول: ما الكلام إلا ما قلتَ.

قال ابن عبد البر: (هكذا يكون الإنصاف، وزيد معلم ابن عباس، فما لنا لا نقتدي بهم، والله المستعان)(١).

وروي أن أبا حنيفة نهى ابنه حمّاداً عن المناقشة والجدال، وكان أبو حنيفة معروفاً بأنه كان من المناظرين الأذكياء الكبار، الذين يناظرون للوصول إلى الحق، فقال له ابنه: رأيتك وأنت تتكلم فما بالك تنهاني؟!.

قال: يا بني، كنا نتكلم وكل واحد منا كأن الطير على رأسه مخافة أن يزل صاحبه، وأنتم اليوم تتكلمون وكل واحد يريد أن يزل صاحبه.

وجاء عن الشافعي أنه قال: (ما ناظرت أحداً قط إلا على النصيحة، وما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ)(٢)، أي: ما

---

(١) التمهيد (١٧/ ٢٧٠).
(٢) تاريخ دمشق (٥١/ ٣٨٤).

دخلت أبداً في مناظرة وأريد أن الطرف الثاني يخطئ؛ لأن القصد هو الوصول إلى الحق سواء مني أو منه.

وورد أنه ناقش بعض أهل العلم في مسألة فيها رأيان، فرجع الشافعي لرأي الثاني، ورجع العالم الثاني بعد النقاش لرأي الشافعي، فكل واحد منهما اقتنع برأي الآخر، وانتهى النقاش بهذه النتيجة العجيبة.

سابعا: أن يكون متحلياً بالحلم والصبر؛ لأنه بدون التحلي بالحلم والصبر تنقلب المجادلات إلى نقاشات عقيمة.

ثامنا: أن يكون متريثاً متأنياً لا يعجل، فربما أن الشخص الآخر لو أفرغ ما عنده لانتهى النقاش بمجرد حكاية كلامه، فيكون كلامه يغني عن الرد عليه، فاصبر عليه ودعه يفرغ ما عنده، فقد يكون متصوراً القضية بشكل معين، فإذا طرح ما عنده اكتشف خطأه.

تاسعا: لابُدَّ من التزام الصدق: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٦].

عاشرا: لابُدَّ من الترفق بالخصم.

وهذه نقطة مهمة جداً، فنحن عندما نتناقش في مسألة ما إنما نريد أن نصل إلى نتيجة، ونصل إلى الحق، وليس الهدف إمضاء الوقت، أو ظهور أحدنا على الآخر.

فلا ينبغي كسر المخاصم، أو إحراجه أمام الناس، أو عدم إعطائه فرصة للتراجع، أو الانهيال عليه بالعبارات القاسية الجارحة، أو جعله مسخرة ومضحكة للناس، ونحو ذلك.

إن المهم في النقاشات هو كسب الخصم لا كسب الموقف.

الحادي عشر: اجعل للخصم طريقاً للتراجع، وإذا زل زلة لا تخجله، ولا تقولها له بطريقة مسيئة، وإنما نبهه بلطف، وأحسن الاستماع إليه فإن حسن الاستماع نصف الوصول إلى النتيجة.

الثاني عشر: الإنصاف له، فقد يقول المخاصم حقاً فأقر له بذلك، وأقر له بمكانته ومنزلته.

قال مالك: (دخلت على أبي جعفر بالغداة فقال: يا أبا

عبد الله، ضع للناس كتباً، واقصد فيها أوسط الأمور وما اجتمع عليه الأمة والصحابة، ولئن بقيت لأكتبن كتبك بماء الذهب فأحمل الناس عليها.

فقلت له: يا أمير المؤمنين، لا تفعل؛ فإن الناس قد سبقت لهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم وعملوا به ودانوا له من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم، وإن ردهم عما اعتقدوه شديد، فدع الناس وما هم عليه وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم)[1].

وهذا من إنصافه.

يقول أبو محمد بن حزم: (ناظرت رجلاً من أصحابنا، فعلوته لبكوء كان في لسانه - أي: عيب في لسانه -، فظهرت عليه في النقاش، وانفض المجلس على أني أنا الظاهر عليه، فلما أتيت منزلي حاك في نفسي شيء، فرجعت إلى الكتب، فوجدت برهاناً صحيحاً يبين بطلان قولي وصحة قول خصمي، وكان معي أحد أصحابنا ممن شهدوا المجلس،

(١) ترتيب المدارك للقاضي عياض (٢/ ٧٣).

فعلَّمت على المكان من الكتاب، فقال: ما تريد؟ قلت: حمل الكتاب وعرضه على فلان وإعلامه بأنه المحق وأنا المبطل وأني راجع إلى قوله. فقال: وتسمح نفسك بهذا؟ فقلت له: نعم، ولو أمكنني ذلك في وقتي هذا ما أخرته إلى الغد، وإنما أظهر التراجع الآن).

الثالث عشر: لابُدَّ من تهذيب النطق والكلام وعدم رفع الصوت والصياح، ولما صاح أحدهم بحضرة من كان يفصل النقاش في المجلس قال: (يا عبد الصمد، إن الصواب في الأَسدّ لا في الأشد)، فالقضية ليست برفع الصوت.

الرابع عشر: تجنب المماراة، وقد حُرِمَ أناس من علم علماء بسبب المماراة؛ لأنهم كانوا يجادلون المشايخ، قال بعض تلاميذ ابن عباس: (لو رفقتُ بابن عباس لاستخرجت منه علماً كثيراً)[١]، وقال ابن جريج: (لم أستخرج الذي استخرجت من عطاء إلا برفقي به)[٢].

---

(١) تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٩٧).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ١٦٩).

الخامس عشر: من شرط المناظرة أن تكون بين أناس من أهل العلم، وليس من أهل الجهل.

السادس عشر: اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية.

ناقش الإمام أحمد مرة علي بن المديني في مسألة وارتفعت أصواتهما، ولما قام علي بن المديني يمشي أخذ أحمد بركابه!!

السابع عشر: ينبغي تجنب ما يشوش الأفكار.

الثامن عشر: لُتترك الحيل في النقاش؛ وليُجعل حكماً يحفظ الكلام بين المتناقشين، حتى لا ينكر أحدهما شيئاً مما قاله، بل يكون الحكم شاهداً على كل ما يقال.

التاسع عشر: هناك أناس يجب تجنب مماراتهم ومجادلاتهم أصلاً، مثل: الجاهل الذي لا يقر بجهله، والمتعنت، والمعتدي، والسفيه، والذي لا يشهد بالحق بل بالزور.

أنواع الجدال

الجدال المحمود والجدال المذموم:

الجدال منه ما يكون محموداً، ومنه ما يكون مذموماً.

الجدال قد يكون حواراً ومحاجة ومناظرة فيكون محموداً، وقد يكون ملاحاة ومماراة ومماحلة فيكون مذموماً.

لقد أمر الله عَزَّ وَجَلَّ بالجدال المحمود، فقال تعالى: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥] أي: فليكن جدالك لهم بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ [العنكبوت:٤٦]، ومعنى ﴿ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾:

١- الجدال بالقرآن.

٢- وقيل: الجدال بلا إله إلا الله.

٣- وقيل: جادلهم غير فظ ولا غليظ وألن لهم جانبك.

ومعنى قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ أي: إلا الذين أبوا أن يقروا لكم بالحق ولا بإعطاء الجزية ونصبوا الحرب لكم، فعند ذلك يكون جدالهم بالسيف؛ لأن جدالهم باللسان غير ممكن في هذه الحالة.

الجدال المذموم:

ما تعلق بإظهار الباطل، أو أشغل عن إظهار الحق وتوضيح الصواب.

قال الذهبي: (إن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محموداً، وإن كان في مدافعة الحق، أو كان جدالاً بغير علم كان مذموماً)[١].

الجدال المحمود:

ما كان بنية خالصة وأدّى إلى خير، وهذا من الواجبات التي على المسلم أن يفعلها لأجل دينه، قال ابن تيمية: (فكل

---

(١) الكبائر (٢٢١).

من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفّى بموجب العلم والإيمان، ولا حَصَّل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين)[١].

والمجادلة بالحق عبادة عظيمة، فعندما قال قوم نوح عليه السلام لنبيهم: ﴿ قَالُواْ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [هود:٣٢] جادلهم لأجل تعريفهم بالحق وإقناعهم به، ولذلك رد عليهم: ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [هود:٣٣-٣٤].

وقد حفلت الآيات الكريمة في القرآن الكريم بقصص من المناظرات بين موسى وفرعون، وبين نوح وقومه، وبين إبراهيم والنمرود، وبين إبراهيم وأبيه، وبين إبراهيم وقومه، وبين النبي ﷺ وقريش، وبين الصحابة والمشركين وهكذا.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٦٤).

فهذا جدال من أهل الحق لأهل الباطل لإقناعهم فهو **جدال محمود.**

وكذلك المرأة التي جاءت تستفتي، وذكرت قصتها في قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة:١] هذه المرأة تريد أن تعرف مصيرها مع زوجها، ماذا تفعل معه؟ هل هي حرام عليه أم حلال؟. فهو جدال محمود.

أما الجدال المذموم: فهو كل جدال ظاهر الباطل أو أفضى إليه. كما قال الله ﷻ: ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾ [الكهف:٥٦] يعني: ليدفعوه ويبطلوه.

والجدل المذموم من طبع الكفار، قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾ [الكهف:٥٦] فهذه الآية العظيمة تدل على جدال الكفار باستمرار لدحض الحق وإزالته.

وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ

لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [غافر:٥]
ماحلوا، وجادلوا، وخاصموا؛ ليذهبوا الحق.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴾ [الشورى:١٦] وهذا وعيد من الله للذين يحاجون ويجادلون في الله بعد ما استجاب له المؤمنون ويحاولون أن يصدوا المؤمنين عن الله تعالى وعن سبيله، فتوعدهم الله عز وجل.

وقال تعالى: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾ [غافر:٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٥] أي: أخذته عن الأوائل، ونقلته من كتبهم وأفواههم.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف:٥٨] مجادلون بالباطل كثيرو الخصومة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء عبد الله بن الزبعرى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تزعم أن الله أنزل عليك هذه الآية: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [الأنبياء:٩٨] فقال ابن الزبعرى: قد عبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير وعيسى بن مريم، كل هؤلاء في النار مع آلهتنا؟ فنزلت: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف:٥٧-٥٨]، ثم نزلت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠١][(١)].

فعزير وعيسى بن مريم مبعدون عن النار، وبقية الآلهة فيها، حتى الشمس والقمر والأصنام في النار تعذيباً لعابديها، يقال هذا الذي عبدتموه هو الآن سبب إحراقكم فصرتم حصب جهنم فذوقوا العذاب.

وقد حصلت عدة محاولات من المشركين في الجدال

---

(١) أخرجه ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٥).

بالباطل في عهد النبي ﷺ وجادلوا الصحابة بالباطل، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:١٢١].

يوحون: يوسوسون.

إلى أوليائهم: الكفار.

ليجادلوكم: بهذه الحجة التي يريدون بها دحض الحكم الشرعي وهو الحق، فهم يقولون للمسلمين: ما ذبحتموه بأيديكم تأكلوه وما قتله الله يعني مات حتف أنفه لا تأكلوه؟! انظر إلى منطق أهل الجاهلية، فرد الله عليهم مخاطباً المسلمين: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ فكله قدر الله، حتى الذي ذبحه الإنسان بقدر من الله، والبهيمة ماتت بحتف أنفها بقدر من الله.

لكن هذا القدر أباحه الله عز وجل إذا وقع الذبح باليد مع التسمية، وهذا القدر حرمه الله إذا وقع، وهو أن تموت حتف أنفها.

وانظر إلى هذه المحاجة: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أتى أناس النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، أنأكل ما

نقتل، ولا نأكل ما يقتل الله؟ فأنزل الله: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام:١١٨-١٢١][(١)].

وقال تعالى واصفاً مجادلة المشركين لما رآه محمدٌ ﷺ في معراجه: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ [النجم:١١-١٢] أي: أتجادلون يا أيها المشركون محمداً ﷺ على ما أراه الله من الآيات، وتكذبون وتشككون؟!!

وقال تعالى: ﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٦٨ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ [الحج: ٦٨-٦٩] فهذه الآية نزلت على النبي ﷺ لما جادله الكفار بالباطل فدافعهم بقوله: ﴿ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ من الكفر والتكذيب، وأمره بالإعراض عن مماراتهم صيانة عن الاشتغال بتعنتهم؛ لأن صاحب العناد لا ينفع معه النقاش.

ومما يجادلون به بالباطل القرآن: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [غافر:٤]، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٦٩) وحسنه.

أن النبي ﷺ قال: «**لَا تُجَادِلُوا فِي القُرْآنِ؛ فَإِنَّ جِدَالاً فِيهِ كُفْرٌ**»[(١)].

وأيضا فقد حصلت المجادلة من ضعاف الإيمان:

قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ [الأنفال:٥-٦] أي: لما أيقنوا بالقتال وأن المصادمة آتية كرهوا ذلك وقالوا: لِمَ لَمْ تخبرنا أنَّا سنلقى العدو حتى نتأهب لذلك ونستعد؟ ونحن خرجنا للعير والقافلة وما خرجنا للجيش، فهذا كان جدالهم.

ومجادلة الكفار للأنبياء كانت موجودة مع وجود الرسل، فهذا هود عليه السلام ناقشه قومه وجادلوه في الأصنام، قال تعالى على لسان هود عليه السلام: ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ [الأعراف:٧١] أي: أتحاجوني في أصنام سميتموها أنتم وآباؤكم لا تضر ولا تنفع؟!.

---

(١) رواه البيهقي (٢٢٥٧)، وصححه الألباني.

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴾ [غافر:٣٥].

من الذي قال هذا الكلام؟ حكاه الله عَزَّ وَجَلَّ عن من؟.

هذا قاله مؤمن آل فرعون، لما قام ينافح عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ ﴾ [غافر:٥٦].

فهذا رابط بين الكبر والجدال والمراء، فانظر كيف يبعث الكبر على الجدال بغير حق، والمراء بغير حق، وإرادة دحض الحق، وتقرير الباطل كبراً وعناداً.

وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ﴾ [غافر:٦٩].

والجدال المذموم ينقسم أيضا إلى قسمين:

١ - جدال بغير علم. كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴾[الحج:٣].

وقال تعالى يخاطب أهل الكتاب: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٦].

والجدال في الله من المجادلة بغير علم، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ [الرعد:١٣] أي: شديد القوة سبحانه وتعالى.

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[الحج:٣-٤] فيزعم أن الله لا يقدر على إحياء الموتى، ويأتي الكافر إلى النبي ﷺ بعظم قد بَلِي فيفته أمامه ويقول: أتزعم أن ربك يقدر على أن يحيي هذا؟. وهكذا كانوا يجادلون النبي ﷺ وينكرون البعث بعد الموت.

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الحج:٨-٩] أي: متكبر ويريد إضلال الناس عن سبيل الله.

ومما يجادل به هؤلاء أيضاً الساعة وقيام الساعة: ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [الشورى:١٨]، مع أن قيام الساعة من علم الغيب الذي لا يعرفه أحد.

ومن الجدال بغير علم: الجدال في القدر:

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يُفقأُ في وجهه حب الرمان من الغضب. فقال: «**بِهَذَا أُمِرْتُمْ؟ أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ؟ تَضرِبُونَ القُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ؟! بِهَذَا هَلَكَتِ الأُمَمُ قَبْلَكُمْ**». قال: فقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه(١).

فقوله: (يختصمون في القدر): يعني يتنازعون نزاعاً مذموماً في القدر.

(١) رواه ابن ماجة (٨٥)، وحسنه الألباني.

وقوله: (فكأنما يُفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب): هذا التعبير فيه دليل على شدة احمرار الوجه من الغضب، وكيف صار من شدة الحمرة كأنه شق أو عصر في وجنتيه - في خديه - حب الرمان.

وإنما غضب لأن القدر سر من أسرار الله تعالى، فمن يخوض فيه بغير علم ينتهي إلى الضلالة، إما أن يصبح قدرياً أو يصبح جبرياً، ولذلك نهي عنه.

والمناقشات في القدر تؤدي إلى الشك والريبة، وتؤدي إلى تخلخل الإيمان، ولما تصبح هذه القضية مدار نقاشات بلا علم، أو تؤدي إلى إثارة شبهات بدون حسم وبدون رد على الشبهات، فهذا نقاش مذموم، وهذا جدال مذموم، ولذلك قال ﷺ: «**لَا يَزَالُ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ مُوَائِماً أَوْ مُقَارِباً مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا فِي الوِلْدَانِ وِالقَدَرِ**»[(١)].

الولدان: يعني أطفال المشركين ما مصيرهم؟.

والقدر: معروف، والمقصود: الكلام بغير علم، قال ابن

(١) رواه ابن حبان (٦٧٢٤)، وصححه الحاكم.

القيم: (الحديث لو صح إنما يدل على ذم من تكلم فيهم بغير علم، أو ضرب النصوص بعضها ببعض)[١].

٢- والنوع الثاني من الجدال الباطل: الجدال لنصرة الباطل والشغب على الحق بعدما تبين. كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَـٰدَلُواْ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾ [غافر:٥].

قال ابن بطة في الجدال المذموم: (إنما هو لهو يُتعلم، ودراية يُتفكه بها، ولذة يُستراح إليها، ومهارشة العقول، وتذريب اللسان بمحق الأديان، والضراوة على التغلب، واستمتاع بظهور حجة المخاصم، وقصد إلى قهر المناظر، والمغالطة في القياس، وبهت في المقاولة، وتكذيب بالآثار، وتسفيه الأحلام الأبرار، ومكابرة لنص التنزيل بما قاله الرسول، ونقض لعقدة الإجماع، وتشتيت الألفة، وتفريق لأهل الملة، وشكوك تدخل على الأمة، وضراوة السلاطة، وتوغير القلب، وتوليد الشحناء في النفوس، عصمنا الله وإياكم من ذلك، وأعاذنا من مجالسة أهله) .

والجدال المحمود: دعانا النبي ﷺ إليه، بل هو نوع من

---

(١) أحكام أهل الذمة (٢/ ١٠٩٢).

الجهاد، فعن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ**»[١].

فكيف نجاهد بألسنتنا؟!

بالجدال بالتي هي أحسن، فالأمر بالمناظرة واجب كإيجاب الجهاد في سبيل الله، كما قال ابن حزم[٢].

قال الصنعاني: (في الحديث دليل على وجوب الجهاد بالنفس وهو بالخروج والمباشرة للكفار، وبالمال وهو بذله لما يقوم به من النفقة في الجهاد والسلاح ونحوه، والجهاد باللسان بإقامة الحجة عليهم ودعائهم إلى الله تعالى)[٣].

وجنس المناظرة بالحق قد تكون واجبة تارة، ومستحبة أخرى.

أما الجدال المذموم فهو مذموم بكل حال؛ لأنه إبطال لحق، أو نصرة لباطل.

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٠٤)، وصححه الألباني .

(٢) الإحكام (١/ ٢٩).

(٣) سبل السلام (١/ ١٩٩).

وقد يكون الجدال محموداً ومذموماً في مكان واحد.

ففي الحج مثلاً يقول تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

فما هو الجدال المنهي عنه في الحج؟.

هو الجدال الذي يسبب خصومة وشحناء وبغضاء، الجدال بغير علم، الجدال الذي يريد كل واحد أن يعلو صاحبه فيه، ولا يريد أحدهما الوصول إلى الحق، فقط يريدون أن يروا من الأفضل في المناقشة؟ من يفحم الآخر؟ من يسكته؟ فهو ليس لوجه الله.

وقد يكون جدالاً في أحكام الحج بلا علم، **وهذا جدال مذموم أيضاً.**

أما أن نتناقش هل التمتع أفضل؟ أم الإفراد أفضل؟ وكيف حج النبي ﷺ؟ متمتعاً أو قارناً أو مفرداً؟ فهذا النقاش والجدال لمعرفة الحق ومعرفة السنة له ثمرة، وهو أن تعمل بالحق وتصل إليه.

وكذلك النقاش في الصيام: فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يَجْهَلُ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ - مَرَّتَيْنِ-**»[١]، وفي رواية سهيل بن أبي صالح عن أبيه: «**فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يُجَادِلُ**»[٢].

وينبغي للمسلم أن يترك الجدال ولو كان محقا لأن المماراة والجدل يقسيان القلب، ويسببان الشحناء والبغضاء بين المسلمين، وفيهما رفض الحق وتقرير الباطل، ولما في هذه المماراة التي يريد بها الشخص أن يزيف قول الآخر وأن يبطل قوله وأن يظهره بمظهر المخطئ ولو كان ما يقوله حقاً؛ ندب الشارع لأجل هذا إلى ترك المراء فقال النبي ﷺ: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِـمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقّاً**»[٣].

زعيم: كفيل وضمين.

ببيت: بقصر.

---

(١) رواه البخاري (١٨٩٤).

(٢) عمدة القاري (١٠/ ٢٥٨) وفتح الباري (٤/ ١٠٤).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٠٠)، وحسنه الألباني .

في ربض الجنة: حولها.

المراء: الجدال الذي يريد فيه كسر الخصم ولو كان على الحق، أي لِجاجٌ وخصومة وجدل يوقع في الباطل.

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ**»[1].

الألد: كثير الجدال والمراء والمماحكة.

الخصِم : صاحب خصومات وعداوات.

والمقصود بترك المراء والجدال هنا: هو الجدال مع أهل الحق، أما الجدال مع أهل الباطل والبدع فلابُدَّ من متابعة نقاشهم حتى يهتدوا أو ينكسر باطلهم.

---

(١) رواه البخاري (٢٤٥٧) ومسلم (٢٦٦٨).

أمثلة للجدال المحمود

هناك أمثلة على كيفية مجادلة الأنبياء عليهم السلام والسلف الصالح لأهل الباطل، وما يكون في الجدالات والمناقشات الفقهية العلمية.

* فإبراهيم عليه السلام جادل النمرود ليدحض باطله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾[البقرة: ٢٥٨].

فلما صار النقاش في توحيد الربوبية قال الكافر: ﴿ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾أي: هذا محكوم عليه بالقتل فأعفو عنه، وهذا بريء فأقتله. فهذه مجادلة بالباطل وليس هذا الإحياء وهذه الإماتة هما المقصودَيْن في توحيد الربوبية، المقصود أن الله يحيي من العدم، فإن كنت صادقاً فأحيي من العدم!.

لكن لما صارت المسألة مجال مجادلة بالباطل من قِبَل النمرود؛

انتقل إبراهيم إلى شيء لا يمكن المجادلة فيه فقال: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ ﴾ ماذا سيقول في هذه؟ ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ﴾ وسكت.

* كذلك النقاش الذي حصل بين صاحب الجنتين وبين الآخر الصالح، وكيف رد عليه؟ وكيف أرشده إلى ما يجب أن يقوله بدلاً من الاغترار بالنعيم الذي عنده؟ ثم ذكر له رجاءه بالله ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ ﴾ [الكهف: ٤٠]، وذكّره بما يمكن أن يحصل له من غوران الماء وذهاب الثمر.

* وكذلك فإن عدداً من أهل العلم أيضاً جادلوا الكفار وناظروهم، كما جادل أبو حنيفة قوماً من الدهرية الذين يقولون: إن هذه الطبيعة هي التي خلقت الكون، وليس هناك خالق بل هي جاءت من نفسها، وكل ستة وثلاثين ألف سنة تدور الدائرة نفسها، ويرجع آدم مرة ثانية، ويرجع نفس الأشخاص، ثم يعودون يموتون، ويعودون ويموتون، وهكذا.

قال أبو حنيفة: أرأيتم لو أن سفينة بدجلة تسير بلا ربان، وتأتي إلى الميناء وتحمّل البضاعة بدون أن يحملها أحد، ثم تشرع

الأشرعة بدون أن يرفع الأشرعة أحد، ثم تبحر وتكون بغاية المهارة في الالتفاف بين الصخور حتى ترسو في الميناء، فتفرغ شحنتها بدون أحد، ما تقولون في هذا؟.

قالوا: إن الذي يقول هذا مجنون.

قال: هذه السفينة قلتم أنه لابد لها من ربان فما بالكم بهذه الدنيا وهذا الكون الذي أنتم فيه!.

فبكوا واعترفوا بالحق.

* وكذلك لما قام عمرو بن عبيد مرة – وهو من المعتزلة الذين يقولون: إن مرتكب الكبيرة خالد في النار– فقال بكل وقاحة: يؤتى بي يوم القيامة فأُقام بين يدي الله فيقول لي: لم قلت: إن القاتل في النار؟ فأقول: أنت قلته ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ [النساء: ٩٣].

فقال له قريش بن أنس وما في البيت أصغر منه: أرأيت إن قال لك قد قلت: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:١١٦] فمن أين علمت أني لا أشاء أن أغفر؟.

فما استطاع أن يرد شيئاً[(١)].

* وكذلك وجّه عمر بن عبد العزيز عونَ بن عبد الله إلى الخوارج ليناظرهم، فقال عون بن عبد الله للخوارج، وقد كانوا يكفِّرون الأئمة لأنهم ظلمة: كنتم تطلبون من يعمل بعمل عمر بن الخطاب، فلما جاءكم عمر بن عبد العزيز كنتم أول من نفر عنه؟!.

قالوا: لكنه لم يتبرأ من الذين كانوا قبله ولم يلعنهم، ونحن شرطنا أن يلعن كل الأئمة والخلفاء الذين كانوا قبله.

فقال: ما عهدكم بلعن هامان؟ متى آخر مرة لعنتم هامان؟.

قالوا: ما لعناه قط!.

قال: أيسعكم أن تتركوا وزير فرعون المنفذ لأمره الذي بنى له الصرح، ولا يسع عمر بن عبد العزيز أن يعمل بالحق ولا يلعن أهل قبلته إن كانوا أخطأوا في شيء أو قصروا؟!.

---

(١) تهذيب الكمال (٢٢/ ١٣١).

فلما بلغ عمر بن عبد العزيز ذلك سُرَّ به فقال: ما أحب أن أوجه إليهم غيرك رجلاً.

ثم قال له: كيف فطنت لهامان ولم تذكر فرعون؟.

قال: خفت إن ذكرت فرعون أن يقولوا قد لعناه!!

* وكذلك جاء أن الضحاك الشاري من الخوارج جاء إلى أبى حنيفة فقال: تب.

قال: مم أتوب؟.

قال: من قولك بتجويز الحكمين-لأن الخوارج لا يجيزون أي أحد يحكم بين اثنين، ويقولون: ليس هناك حَكم، فكل الحكم لله-.

قال أبو حنيفة : تقتلني أو تناظرني؟.

قال: أناظرك.

قال: فإن اختلفنا في شيء مما تناظرني عليه فمن يحكم بيني وبينك؟.

قال: اجعل من شئت.

قال أبو حنيفة لرجل من أصحاب الضحاك الشاري: اقعد فاحكم بيننا فيما اختلفنا فيه.

ثم قال للضحاك: أترضى هذا بيني وبينك حكماً؟.

قال: نعم.

قال أبو حنيفة : فأنت جوزت التحكيم. فانقطع وسكت ولم يستطع أن يرد.

* وناظر سنيٌّ أحد القدرية الذين يقولون: (الله لا يعلم الشر قبل وقوعه والعصاة يخلقون أفعالهم بأنفسهم والله لا يخلق الشر)، وأهل السنة يقولون: (الله يخلق الخير ويخلق الشر).

فقال السني للقدري في النقاش: بلغني أن أناساً في عهد الرسول ﷺ يقال لهم القدرية كانوا يسرقون نعال الصحابة!.

فقال القدري: ومتى كان القول بالقدر في عهد النبي ﷺ أصلاً، أنت جاهل بالتاريخ، فالقدرية لم يظهروا إلا بعد النبي ﷺ.

فقال له: إذا كان قولكم هذا غير موجود في عهد النبي ﷺ فمن أين أتيتم به؟!!.

* وذكر ابن عساكر: أن طاغية الروم عرَّض يوما للقاضي أبي بكر الباقلاني المسلم الذي أُرسل إليه للنقاش بحديث الإفك، محاولاً النيل من عائشة زوج النبي ﷺ، فقال له: امرأة في القرآن نزهها الله من الزنا، فمن هي؟!.

فقال القاضي: هما ثنتان قيل فيهما ما قيل: زوج نبينا، ومريم بنت عمران، فأما زوج نبينا فلم تلد، وأما مريم فجاءت بولدها تحمله على كتفها، وكلٌ قد برأها الله مما رميت به، فالله برأ مريم وبرأ عائشة، فمن تريد منهما ؟!!

فسكت الطاغية ولم يستطع أن يجيب. وماذا يقول بعد هذا؟![1].

وبالجملة فإن الجدال لإسكات أهل الباطل والرد على النصارى وغيرهم من أهل الكفر من الواجبات على المسلمين، ولا يجوز لمسلم أن يعرض الكفر أمامه ويسكت.

---

(١) تبيين كذب المفتري (٢١٩).

أضرار المراء والجدال المذمومين

إن الشارع الحكيم لا ينهى عن شيء إلا وفيه ضرر على العباد في العاجل والآجل،ومن ذلك المراء والجدال بالباطل، فهما سبب لكثير من المضار والمفاسد، ومن أبرزها ما يأتي:

حرمان الخير العظيم:

قال الأوزاعي: (إذا أراد الله بقوم شراً ألزمهم الجدل ومنعهم العمل)[(١)].

وقال معاوية بن قرة: (إياكم وهذه الخصومات فإنها تحبط الأعمال)[(٢)].

حرمان العلم:

ألم تعلموا أن ليلة القدر قد رفع علمها بسبب المراء والمجادلة؟!.

---

(١) اعتقاد أهل السنة (٢٩٦).

(٢) اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢٢١).

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج يخبر بليلة القدر، فتلاحى رجلان من الـمسلمين فقال: «**إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ -أي: ليعينها-، وَإِنَّهُ تَلَاحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، الْتَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالْخَمْسِ**»(١).

فبسبب هذا التلاحي والخصومة والمجادلة والمراء رفع تعيين ليلة القدر، ولم نتمكن من معرفتها على التحديد.

تلاحى: تنازعا وتخاصما وحضر معهما الشيطان فلذلك نُسِّي النبي ﷺ تعيين هذه الليلة.

فالحديث دليل على أن المخاصمة مذمومة، وأنها سبب في العقوبة والحرمان من الخير. وقد كانت هذه الخصومة وهذه الملاحاة ورفع الصوت في المسجد وبحضرة النبي ﷺ.

وعن يونس قال: كتب إليَّ ميمون بن مهران: (إياك والخصومة والجدال في الدين، ولا تجادلن عالماً ولا جاهلاً،

---

(١) رواه البخاري (٤٩).

أما العالم فإنه يخزن عنك علمه ولا يبالي ما صنعت، وأما الجاهل فإنه يُخَشِّن صدرك ولا يطيعك)[١].

وجاء عن بعضهم أن شخصا حُرم نيل العلم من العلماء بسبب جداله ونقاشه إياهم، فتندَّم وقال: ليتني لم أفعل ذلك.

هلاك الأمم:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُؤَالُهُمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ**»[٢].

وقال عمر رضي الله عنه لزياد بن حدير: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قال: لا. قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إنما هلك من كان قبلكم بالمراء والخصومات في الدين)[٤].

---

(١) سنن الدارمي (٣٠٢).
(٢) رواه البخاري (٧٢٨٨) ومسلم (١٣٣٧)، واللفظ للبخاري.
(٣) سنن الدارمي (٢١٤) وصححه الألباني.
(٤) تفسير الطبري (٤/ ٣٢٨).

يورث الضغائن وقسوة القلوب:

قال الشافعي: (المراء في العلم يقسي القلب، ويورث الضغائن)[١].

وكثيرٌ من الناس هجر بعضهم بعضاً بسبب الجدال، فلا يكلم بعضهم بعضا، ولا يزور بعضها بعضا، وذلك بسبب اللدد والمناقشة والجدال والخصومة التي حصلت في المجلس، فانتهى بالافتراق وابتعاد القلوب بعضها عن بعض، ولذلك كان السلف يحذرون منه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (كفى بك ظلماً أن لا تزال مخاصماً، وكفى بك إثماً أن لا تزال ممارياً)[٢].

وقال محمد بن علي بن الحسين: (الخصومة تمحق الدين، وتنبت الشحناء في صدور الرجال).

وقال عبد الله بن الحسن: (المراء يفسد الصداقة القديمة، ويحل العقدة الوثيقة، وأقل ما فيه أن تكون المغالبة، والمغالبة أمتن أسباب القطيعة)[٣].

---

(١) شعب الإيمان (٨٤٨٨).
(٢) تاريخ دمشق (١٠/ ٨٠).
(٣) تاريخ دمشق (٢٧/ ٣٨٠).

وقال إبراهيم النخعي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ﴾ [المائدة:٦٤] قال: (الخصومات والجدال في الدين)[١].

حرمان التوفيق:

لأن الله لا يوفق أصحاب المجالس التي تقع فيها هذه المجادلات التي لا يراد بها وجه الله.

انشغال القلب عن الله:

فأقل ما في هذه الخصومات التي ليست لوجه الله أنها تشغل الإنسان حتى في صلاته، ويبقى خاطره معلقاً بها.

قال بعض السلف: (ما رأيت شيئاً أذهب للدين، ولا أنقص للمروءة، ولا أضيع للذة، ولا أشغل للقلب؛ من الخصومة)[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٠٤).
(٢) تاريخ دمشق (١٠/ ٢٩٧).

مدعاة للزلل:

قال مسلم بن يسار: (إياكم والمراء، فإنه ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته)[١].

ذهاب الكرامة:

قال بعض الأعراب: (من لاحَى الرجال وماراهم قلَّت كرامته، ومن أكثر من شيء عُرِفَ به).

وقال الشافعي:

قَالُوا سَكتَّ وَقَدْ خُوصِمْتَ، قُلْتُ لَهُمْ
إِنَّ الجَوَابَ لِبَابِ الشَّرِّ مِفْتَاحُ
وَالصَّمْتُ عَنْ جَاهِلٍ أَوْ أَحْمَقٍ شَرَفٌ
وَفِيهِ أَيْضاً لِصَوْنِ العِرْضِ إِصْلَاحُ
أَمَا تَرَى الأُسْدَ تُخْشَى وَهْيَ صَامِتَةٌ
وَالكلْبُ يُخْسَى لَعَمْرِي وَهْوَ نَبَّاحُ

---

(١) سنن الدارمي(٣٩٦) وحلية الأولياء (٢/ ٢٩٤).

ظهور البدع واتباع الهوى:

قال عمر بن عبد العزيز: (من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل)[١] يعني من بدعة إلى بدعة، ومن مزلق إلى مزلة، وهكذا.

وقيل للحكم بن عتيبة الكوفي: ما اضطر الناسَ إلى هذه الأهواء أن يدخلوا فيها؟- أي: لماذا دخلوا في البدع؟- قال: الخصومات[٢].

وقال خالد بن برمك: (من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق أن لا ينزل به كبير مكروه: العجلة، واللجاجة، والعُجب، والتواني؛ فثمرة العجلة الندامة، وثمرة اللجاجة الحيرة، وثمرة العجب البغضة، وثمرة التواني الذل)[٣].

وسئل سهل بن عبد الله: متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة؟ فقال: (إذا عرف من نفسه عشر خصال: لا يترك

(١) السنة لعبد الله بن أحمد (١٠٣) وسنن الدارمي (٣٠٤).
(٢) اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢١٨).
(٣) روضة العقلاء (٢١٧).

الجماعة، ولا يسب أصحاب النبي ﷺ، ولا يخرج على هذه الأمة بالسيف، ولا يكذب بالقدر، ولا يشك في الإيمان، ولا يماري في الدين، ولا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بالذنب، ولا يترك المسح على الخفين، ولا يترك الجماعة خلف كل والٍ، جار أو عدل)[١].

(١) اعتقاد أهل السنة (٣٢٤).

مماراة العلماء

هناك أناس يجادلون في القضايا العلمية، يريدون المنازعة في مجالس العلماء وطلبة العلم ليظهروا علمهم، ويظهروا قدراتهم البلاغية، ويستعرضوا إمكاناتهم اللسانية.

وهذا أمر مذموم شرعاً، فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**لَا تَعَلَّمُوا العِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ العُلَمَاءَ، وَلَا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا تَخَيَّرُوا بِهِ الـمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارَ النَّارَ**»[1].

وفي الحديث الآخر: عن كعب بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ العُلَمَاءَ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ؛ أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ**»[2].

---

(١) رواه ابن ماجة (٢٥٤)، وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي (٢٦٥٤)، وحسنه الألباني.

فلابد من الحذر من التعلم للمجادلة، ولابد من الحذر من مجادلة العلماء.

وهناك أناس همهم المجادلة مع العلماء وطلبة العلم، كأنه يقول: أنا أعرف القاعدة الفلانية، والدليل الفلاني، وكلام العالم الفلاني...، ولذلك تجد بعض هؤلاء يسأل الشيخ، والشيخ يجيب، فيقول: يا شيخ، هذه ما قال فيها فلان كذا، وما قال فيها فلان كذا، وما قال فيها فلان كذا.

فإذا كان يعرف كل هذا فلماذا يسأل إذن؟!.

من الواضح إذن أن المسألة عملية استعراضية.

ومثل هذا لا يدرس ويقرأ ابتغاء وجه الله، وإنما يفعل ذلك إرادة الظهور، والبروز، واللمعان في المجالس.

يريد به أن يذكر اسمه، وأن يشار إليه بالبنان، وأن يقال: حافظ، وطالب علم، ومناقش عنده حجة، ونحو ذلك.

الخاتمة

إذا أردنا أن لا نقع في الجدال والمراء المذمومين فعلينا أن نتمسك بهذا الدين القويم؛لأن من عقوبات الله لمن ترك دينه أن ينشر فيهم المراء والجدال.

فعن أبي أمامة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا ضلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدىً كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ**» ثم تلا النبي ﷺ هذه الآية: ﴿ **مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ** ﴾ [الزخرف: ٥٨][(١)].

(**إلا أوتوا الجدل**) يعني: انتقم الله منهم وعاقبهم بأن أعطاهم الجدل بدل العلم الذي أعرضوا عنه، وأعطاهم الخصومة بالباطل واللجج والمهارة بلا فائدة، أي: لما تركوا العلم النافع ظهر الجدل.

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٥٣)، وحسنه الألباني.

وهذه قاعدة: فأي قوم يتركون العلم النافع علم الكتاب والسنة؛ يعاقبون بانتشار الجدل والخصام فيهم.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اختبر فهمك

بين يديك مستويين من الأسئلة، أسئلة مباشرة وأخرى تحتاج منك إلى تأمل وإمعان نظر.

أسئلة المستوى الأول المباشرة:

١- عرف الجدال والمراء .
٢- ما الفرق بين الجدال والمراء؟.
٣- للمراء والجدال أسباب، اذكر أبرزها .
٤- ما هي شروط الجدال المحمود؟.
٥- ما هي أنواع الجدال؟ واذكر مثالا لكل نوع منها .
٦- ما المفاسد والأضرار الناجمة عن الجدال والمراء؟.

أسئلة المستوى الثاني الاستنباطية:

١- ما المقصود بالمراء في القرآن الكريم؟.
٢- ما معنى قوله ﷺ : «**اقرؤوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه**»؟.

٣- ما معنى قوله ﷺ : «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أُتوا الجدل**»؟.

٤- قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾ فما معنى قوله تعالى: ﴿ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ ؟.

المُحتَوياتْ